استخدام الأطفال لميكانيزمات الدفاع أثناء اللعب

أ د. عادل كمال خضر

أستاذ علم النفس الإكلينيكي والتحليل النفسي

ووكيل كلية الآداب _ جامعة بنها

يعد اللعب نشاط سار وممتع بالنسبة للطفل ، حيث يقضي الطفل معظم وقته في اللعب سواء بمفرده أو مع أخوته وأقرانه ، وإذا كانت الصحة النفسية وفقاً للتحليل النفسي هي القدرة على الحب والعمل ، فإنها بالنسبة للطفل هي القدرة على الحب واللعب ، ذلك أن اللعب هو عمل الطفل .. وكما أن الرجل الذي لا يعمل يعاني من المشكلات النفسية ، فإن الطفل الذي لا يلعب يعاني هو الآخر من المشكلات النفسية .

فالعمل بالنسبة للرجل واللعب بالنسبة للطفل هما بمثابة المسرح الذي يخرج فيهما الشخص طاقاته وانفعالاته المشحونة ، وأيضاً هما المجال الذي يحقق فيهما الشخص ذاته .

والأخصائي النفسي الإكلينيكي يستخدم اللعب في الفحص والعلاج النفسي للأطفال باعتبار أن لعب الأطفال يعد بديلاً عن التداعي الحر في طريقة العلاج بالتحليل النفسي .. فنظراً لكون الطفل لا يمتلك اللغة كما هو الحال لدى البالغ فإنه لا يستطيع أن يعبر عن مشاكله بشكل لفظي ، ومن ثم فإن الأخصائي النفسي يلجأ من أجل فهم شخصية الطفل وتحديد مشاكله ونواحي صراعه إلى لغة بديلة .. ومن بين اللغات البديلة التي نلجأ إليها لفحص الأطفال لغة الفن وخاصة الرسم الحر ، وأيضاً لغة اللعب وخاصة اللعب غير المقيد .

والطفل أثناء اللعب يقوم بشكل لا إرادي بالتعبير عما يعانيه من الإحباط الناتج عن فشله في تحقيق بعض الرغبات أو يقوم بالتعبير عن مشكلاته وصراعاته مع الآخرين (سواء الآباء أو الأخوة أو الأقران) .. وإلى جانب كون اللعب تنفيس عن المواقف المشحونة للطفل فإننا نستطيع أيضاً أن نفحص الطفل من خلاله ، حيث يعد اللعب نشاط دفاعي تعويضي يهدف إلى التخفف من القلق الناجم عن المشاكل التي يعانيها الطفل .

وقد يتصور البعض أن ميكانيزمات الدفاع قاصرة على الراشدين ، ولا يلجأ إليها الأطفال في سلوكهم .. غير أن الحقيقة خلاف ذلك ، فالأطفال يستخدمونها تماماً ـ كما هو الحال لدى الراشدين ـ دون وعي ، وقد اتضح لي ذلك عندما كنت ألاحظ أبناء أخي مرات عديدة وهما يلعبان معاً في منزلهما ببعض اللعب

والدمي (الأخ الأكبر حسين ٥ سنوات ، والأخت الصغرى زهراء ٣ سنوات) . حيث تبين لي أنهما قد استخدما بعض ميكانيزمات الدفاع أثناء لعبهما معاً .. نوضحها على الوجه التالي :

أولاً : ميكـــــانيزم التوحـــــد بالمعتدي :

أثناء لعب الأخوين حسين وزهراء بالألعاب والدمي ، حدث أن قام حسين أولاً بأخذ كل اللعب له وحده .. ورفض تماماً أن يعطي أخته زهراء أي لعبة ، وإذا تنازل وأعطاها لعبة فإنه يعطيها لعبة مكسرة .. ولم يشفع لها لديه بكائها وصراخها .. مرات ومرات وهو يمارس ذلك .

ولكن عندما كبرت زهراء بعض الشيء ، وأصبحت مؤثرة في القرار داخل الأسرة مدعومة بالأب والأم ـ كرد فعل لتسلط أخوها الأكبر أثناء لعبه معها ـ أصبحت هي تلعب بنفس الأسلوب ، فهي تصر على أن تحصل لنفسها على كل اللعب والدمي وترفض تمامًا إعطاء أخوها حسين أي لعبة .. وهنا نجد أنها توحدت بأخيها (المعتدي) .

- ثانيـــــا : ميكـــانيزم نقـــل العدوان :

قام الأخوان حسين وزهراء بإفراغ اللعب من شنطة اللعب ، ثم بدأ حسين بتجميع اللعب السليمة له ، رافضًا إعطاء أخته أي لعبة ، ثم يعطيها لعبة لا يريدها ، وهي تطلب أن يعطيها اللعب الأخرى التي بحوزته ، ولكنه يرفض بشدة إعطاءها أي لعبه .. ونشأ نزاع بينهما كل منهما يريد أن يأخذ اللعب لنفسه .. فتدخل الأب وقام بتقسيم اللعب بينهما ، ولكن حسين رفض القسمة ، وغضب وضرب برجله الأرض ودفع أخته ، ثم وضع رأسه بين يديه على ركبتيه في وضع القرفصاء ، وظل هكذا لدقائق قليلة . فشعرت أخته ببعض تأنيب الضمير فأخذت تسترضيه عدة مرات ، وهو يرفض .. ثم نهض حسين فجأة ومد يده فأخذ دبدوبًا من الأرض لم يكن متنازع عليه بينهما ، وأخذ يركله بقدمه وكأنه كرة ، فيشوط الدبدوب فيصدمه بالباب ثم يجري ويشوطه مرة أخرى ليصدمه في الحائط وهكذا لعدة مرات .. وهنا نلاحظ أن حسين استخدم ميكانيزم نقل العدوان ، فالطفل وقد رغب أن يضرب أخته ومنعه من ذلك وجود الأب ، فقد نقل الشحنة العدوانية من أخته إلى الدبدوب الخاص بها لكونه يرمز لها ويخصها . وهو إذ يعتدي على شيء يخصها فكأنه بالفعل يضربها هي .. وهكذا قام حسين بالتنفيس عن عدوانه تجاه أخته ، وفي نفس الوقت فرغ الشحنة العدوانية بعيدًا عن الأخت ..

خالص تحياتي
أد. عادل كمال خضر
E. mail : adelkhedr@fart.bu.edu.eg